

نفحات القرآن

[171] عَٰلِمٌ (سورة الحديد - 2 ، 3 . 3 -) يا صاحِبَ السُّجُنِ أَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (سورة يوسف - 39 . جمع الآيات وتفسيرها :
إِشْهَادٌ عَلَى وَحْدَانِيَّةِ ذَاتِهِ تَمَّ تَفْسِيرُ آيَةِ الْبَحْثِ الْأُولَى فِي مَبَاحِثِ (بَرَهَانِ الصِّدِّيقِينَ)
السَّالِفَةِ وَنَمَرٌ عَلَيْهَا هُنَا بِاخْتِصَارٍ . إِنَّ مَضْمُونَ هَذِهِ الْآيَةِ هُوَ أَنَّ الْإِشْهَادَ عَزَّ وَجَلَّ يَشْهَدُ عَلَى
وَحْدَانِيَّتِهِ وَكَذَلِكَ الْمَلَائِكَةُ وَالْعُلَمَاءُ (كُلٌّ وَاحِدٌ بِشَكْلٍ) (شَهَادَةُ الْإِشْهَادِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ) . وَمِنْ عِلَامَاتِ وَحْدَانِيَّةِ ذَاتِهِ الْمُقَدَّسَةِ هِيَ حُكُومَةُ النِّظَامِ
وَالْعَدْلُ عَلَى الْكَوْنِ ، وَلَعَلَّ الْآيَةَ تُشِيرُ إِلَى هَذَا الْجَانِبِ فِي ذَيْلِهَا (قَائِمًا بِالْقِسْطِ)
ثُمَّ تَسْتَنْدُ إِلَى وَحْدَانِيَّةِ ذَاتِهِ الْمُقَدَّسَةِ مَرَّةً أُخْرَى وَتَقُولُ : (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ) . وَمِنَ الْبَدِيهِ أَنْ لَوْ كَانَتْ ثَمَّةُ آلِهَةٍ تَحْكُمُ الْكَوْنَ ، فَإِنَّ مَنَظِقَةَ كُلِّ إِلَهٍ لَا
تَكُونُ فِي إِخْتِيَارِ الثَّانِي ، وَبِتَعْبِيرٍ آخَرَ يَكُونُ كُلُّ وَاحِدٍ فَاقِدًا لِقُدْرَةِ الثَّانِي ، وَهَذَا لَا
يَنْسَجِمُ اتِّصَافُهُ بِـ (الْعَزِيزِ) . كَمَا أَنَّ حُكْمَتَهُ الَّتِي تَحْكُمُ الْعَالَمَ آيَةُ أُخْرَى عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ
، فَلَوْ تَعَدَّدَتِ الْأَكْوَانُ كَانَتْ نَهَائِثُهَا الْفُسَادُ وَالْدَّمَارُ . أَمَّا كَيْفِيَّةُ شَهَادَةِ الْمَلَائِكَةِ بِوَحْدَانِيَّةِ
الْإِشْهَادِ عَزَّ وَجَلَّ فَإِنَّهَا وَاضِحَةٌ ، وَلَكِنْ هُنَاكَ كَلَامٌ بَيْنَ الْمُفَسِّرِينَ حَوْلَ كَيْفِيَّةِ شَهَادَةِ الْإِشْهَادِ عَلَى
وَحْدَانِيَّةِ ذَاتِهِ ، فَبَعْضُ يَقُولُ : الْمُرَادُ هُوَ الشَّهَادَةُ الَّلَفْظِيَّةُ الَّتِي وَرَدَتْ فِي آيَاتِ قُرْآنِيَّةٍ
مُخْتَلِفَةٍ ، وَبَعْضُ يَقُولُ : إِنَّ آثَارَ وَحْدَانِيَّتِهِ طَاهِرَةٌ فِي عَالَمِ الْوُجُودِ فِي الْآفَاقِ وَالْأَنْفُسِ لِأَنَّ
النِّظَامَ الْوَاحِدَ هُوَ الْحَاكِمُ عَلَى الْجَمِيعِ وَهَذَا هُوَ مَعْنَى شَهَادَةِ الْإِشْهَادِ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ .